Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بدرجاته وعن وعى كامل منه لبعضها الخامس ، وهكذا فاننا نقول أيضا أنه لم يتوقف عند هذا الحد من المشاركة « الشفهية » أو تلك التى تقوم لتهدأ بعد حين ، أو هذه التى تتم داخل المساجد ، أو فى الدواوين أو القصور أو الدور أو المجالس المختلفة مركزة على عشرات أو مئات الحاضرين حتى وان كانت تنتقل بعد ذلك منها الى غيرها من مجتمعات بغداد والبصرة وسامراء، والكوفة ، والنجف ، وكربلاء والانبار والزبير ، وحتى خارج العراق أيضا ، لم يكتف الرجل بذلك كله ، لأنه بحسه الفنى والجماهيرى ، يعرف تماما أن صناعته هى الكتابة ، وأن الله قد يسرها له ، وبذر بذرتها فى صدره، لا لتظل حبيسة هذا الصدر ، أو تخرج فى مثل هذه المجتمعات وحدها ، وانما - وككل أديب وصحفى - لتصل بين الناس ، وتصل اليهم .

ومن هنا ، فقد راح الجاحظ يكتب فى ذلك كله ، وينقل صورة ذلك كله، حتى لم يترك كبيرة ولا صغيرة فى مجتمعه بكل هذا الذى ازدحم به واضطرب فى جنباته وثار على سطحه أو فى أعماقه ، أو قريبا من هذه الأعماق ، بما تردد فى أركان الدواوين ، وساحات المدن والأسواق ، وفوق رمال الصحراء، وتحت قباب المساجد وفى ظلال القصور الأسطورية ، وفى دهاليز الأحياء الشعبية ، جامعا بين ذلك كله ، وبين قراءاته فى بطون الكتب ، ومعاشرته للعلماء والأخذ عنهم حتى اجتمع للقراء منهما لم يجتمع من آخر.. ومن ثم فقد استحق ككل مفكر وأديب وصحفى مشارك بالايجاب لا السلب ، وبالفعالية لا الهامشية ، وبالقوة لا الضعف ، وبالنشاط لا الخمول ، وبالقول والفعل، والشد والجذب ، والهدوء والصخب ، هذه التعبيرات التى تطلق على أمثاله من هذا النفر .. خاصة من الكتاب الصحفيين .

فهو « شاهد على العصر » ، وكتاباته مرآة للسنوات التى عاشها ، بل ان هذه الكتابات الجاحظية نفسها ، والتى تمثل هذا التراث الضخم المتنوع، لتمثل أيضا اذا نحن رحنا نقسمها ونجزئها ، خير شاهد على صحافة عصره، بالأسلوب المخطوط نفسه والذى جمع كل هذه الألوان السائدة ، والتى كانت جديدة على الناس والقراء وقتها ، وأحسب أن بعضها ما يزال يحتفظ بحدته حتى اليوم ، الا بالنسبة لدارسى الأدب عامة ، أو متابعى الجاحظ خاصة ..

وقبل أن نعود الى هذه النقاط بالتفصيل مرة أخرى ، فى فقرة خاصة توضح بعض معالم « الجانب الصحفى » عند رجلنا ، وقبل أن نقدم « شهادة